بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لستِ أكتب تاريخًا لعمر
ولا أُزيد الناس معرفة بعظمته وشَأوه..
ولا أزكّى على الله نفسى بالكتابة عنَ رجل أَحَبَّه الله واصطفاه..
إن المحاولة التى أنا بصددها، أكثر تواضعًا من هذا كله..
إنى أُصغِي إلى أمير المؤمنين، لا أكثر.. وأتطلَّع إليه، لا أقل..
وفى دروبَ التاريخ سنحاول – القراء وأنا – أن نلتقى بالرجل الذى لم تُسعدنا المقاديـر باللقاء معه فـى دروب المدينة. حيث كانت سجاياه وعَظمتُه تملأ الزمان والمكان بما لاَ عينٌ رأت ولا أُذن سمِعت من عدالة الحاكمين، وزهد القادرين، وإخبات الناسكين، وقوة الوُدَعاء الراحمين، ووداعة الأقوياء المتقين!!

أجـل؛ هذا مـا نحاول فى هـذه الصفحات بلوغَـه.. أنْ نعيش لحظات فى رِحاب عمر، ونأخذ من المشهد المكتوب عِوَضَ ما فاتنا

من المشهد الحىّ. ونُلقىَ السمع والبصر والفؤاد بين يدى هذا القوىّ الأميـن. والمعلم الذى ليس لـه بين المعلمين نظيـر، ونقضى فى مَعِيَّته لحظات ترفع من قدر حياتنا.

* * *

و«مَعِيَّةُ» أمير المؤمنين، ليست مثل «مَعِيّات» غيره من الأمراء، والحاكمين.

إنها شىء مختلف جدًّا.. فلا مكان فيها لأطايب الطعام، ومَناعم الشراب، ومَباهج الحياة.. لا مكان للفُرُش المرفوعة، ولا للأكواب الموضوعة، ولا للنمارق المصفوفة، ولا للزَّرَابىَّ المبثوثة.

لا مكان للراحة.. لا مكان للزَّهو.. لا مكان للزُّلفىَ..

مـن أجل هذا، كان الاقتراب من هـذه «المعِيَّة» رهيبًا، بقدر ما هو حبيب إلى النفس، وبقدر ما يُفضى إليه من شرف عظيم.

و«عمر» من الطراز الذى تغمرك وأنت تقرأ تاريخه المكتوب كلُّ الهيبة التى تغمرك وأنت تجالس ذاته وشخصه.

والمشـهد المسـطور من تاريخه، لا يكاد يختلف عن المشهد الحى إلا فى غياب البطل عن حاسة البصر..

أجَلْ.. عن حاسـة البصر وحدها.. أما الأفئـدة.. أما البصيرة، فتحسّ وهى تطالع سـيرة عمر أنها تُعايشـه، وتجالسـه، وترى رَأىَ العين جلال الأعمال، ومَناسِـك البطـولات التى يتناولها بيد أستاذ عظيم، جدّ عظيم..

* * *

ولكن على الرغم مما تفرضه صحبة «عمر» من حرمان وشـظَف.. فليس على ظهر الأرض بهجـة، ولا متعة، ولا نعمة تفوق مباهج ومناعم هذه الصُّحبة بحال..!

فالرجل الكبير فى بساطة، البسيطفى قوة، القوى فى عدل ورحمة لا يسـتريح ولا يترك الذين معه يستريحون، ولكنه يمنحهم بدلا من الراحة المفقودة، أعظم ما فى الحياة من سؤدد، وغبطة، وتفوُّق.

هـذا هو أمير المؤمنيـن، الرجل الذى أنجبته البشـرية ورباه الإسلام.

هذا هو الحاكم المؤمن الذى إذا ذُكر رؤسـاء الدول والحكومات منذ فجر التاريخ الإنسـانى إلـى يوم الناس هـذا، كان أعظمهم، وأبرَّهم، وأزكاهم – من غير مبالغة – أية مبالغة!!

هذا هو الناسـك الذى تفجَّر نُسـكه حركـة، وذكاء... وعملا.. وبناء..

هذا هو المعلم الذى صحح مفاهيم الحياة، وأفرغ عليها نورًا من روحه، وكساها عظمة من سلوكه، وكان للمتقين إمامًا!!..

* * *

تُرى ماذا يذكر التاريخ اليوم من نبئه العظيم، وبم يَلهج الناس من سيرته الفاضلة؟؟

هل يذكرون فتوحاتِه علـى كثرتها؟؟... هل يذكرون انتصارته على روعتها؟..

إن سلوك أمير المؤمنين، يشغل التاريخ ويشغل الناس عن كل شيء سواه.

* ودائمًا، وأبدًا، تُطلّ على الحياة صورة ذلك الإنسان الإلهى الذى يجرى فى وقت الحر القاتل وراء بعير من أموال الأمة مخافة أن يَنِدّ ويضيع، فيحاسبه الله حسابًا عسيرًا!!

* أو الذى يصطحب زوجته فى الهزيع الأخير من الليل حاملا على كتفيه وفى يديه جراب دقيق، وقربة الماء، ووعاء السمن، حيث تتولى زوجته أمر سيدة غريبة أدركها المخاض وحيث يجلس هو خارج الكوخ يُنضج لها طعام الوالدات!

* أو الذى يتأخر عن خطبة الجمعة، ثم يجيء مهرولا فى بُردة بها إحدى وعشرون رقعة، تحتها قميص لم يجفّ بعد من البلل، ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس عن تأخره فيقول: «حَبسنى عنكم قميصى هذا.. كنت أنتظره حتى يجفّ، إنه ليس لى قميص غيره..!!».

* أو الذى يستقبل هدية من الحلوى أرسلها إليه عامله على أذربيجان فيسأل الرسول الذى جاء بها: أوَ كُلُّ الناس هناك يأكلون هذا.. فيجيبه الرجل قائلا: كلا يا أمير المؤمنين، إنها طعام الصَّفْوة!! فيختلج عمر ويقول للرجل: «أين بعيرك.. احمل هديتك وارجع بها إلى صاحبها وقل له: عمر يأمرك ألا تشبع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين..!!».

***

هذا هو عمر فى ذاكرة التاريخ، وفى ضمير البشرية.

هذا هو منارة الله فى الدنيا، وهديته إلى الحياة.

وعلـــى مائدته الخاليـــة من أطايـــب الطعام، الحافلـــة بأطايب العظمة، سنقضى أسعد وأرغد لحظات حياتنا!!!..

خالد محمد خالد

□□□